



ALbaha University

المدد الثامن عشر ... رجب ١٤٤٠ هـ - إبريل ٢٠١٩ م

ردمك (النشر الإلكتروني): ١٦٥٢ - ٧٤٧٢

ردمك: ٧١٨٩ - ١٦٥٢

مجلة جامعة الباحة

للعولم الإنسانيّة

دورية - علمية - محكمة



مجلة علمية تصدر عن جامعة الباحة



مجلة جامعة الباحة للعلوم الإنسانية
تصدر عن جامعة الباحة
مجلة دورية — علمية — محكمة

الرؤية: أن تكون مجلة علمية تتميز بنشر البحوث العلمية التي تخدم أهداف التنمية الشاملة بالمملكة العربية السعودية وتساهم في تنمية القدرات البحثية لأعضاء هيئة التدريس ومن في حكمهم داخل الجامعة وخارجها.
الرسالة: تفعيل دور الجامعة في الارتقاء بمستوى الأداء البشري لمنسوبيها بما يخدم أهداف الجامعة ويحقق أهداف التنمية المرجوة ويزيد من التفاعل البناء مع مؤسسات المجتمع المحلي والإقليمي والعالم.

رئيس هيئة التحرير:

أ.د. سعيد بن صالح الرقيب

مدير التحرير:

د. راشد بن زنان الغامدي

مساعد مدير التحرير:

د. محمد عبد الكريم علي عطية

أعضاء هيئة التحرير:

أ.د. أحمد بن سعيد قشاش

أستاذ بقسم اللغة العربية

كلية العلوم والآداب ببلجرشي جامعة الباحة

د. نايف بن سعيد جمعان الزهراني

أستاذ مشارك بقسم الدراسات الإسلامية

كلية العلوم والآداب بالمنذف جامعة الباحة

د. عبد الرحمن بن محمد الشرفي

أستاذ مشارك بقسم المناهج وطرق التدريس

كلية التربية جامعة الباحة

د. صالح بن محمد أبو القاسم عبدالله

أستاذ مشارك بقسم إدارة الأعمال

كلية إدارة الأعمال جامعة الباحة

د. رشاد بن محمد العريفي

أستاذ مشارك بقسم اللغة الإنجليزية

كلية العلوم والآداب بالمنذف جامعة الباحة

د. رحمه بنت محمد صالح عيفان

أستاذ مشارك بقسم الإدارة والتخطيط التربوي

كلية التربية جامعة الباحة

رصد النشر الورقي: 7189 — 1652

رصد النشر الإلكتروني: 7472 — 1658

رقم الإيداع: 1963 — 1438

ص. ب: 1988

هاتف: 00966 17 7274111 / 00966 17 7250341

تحويلة: 1314

البريد الإلكتروني: buj@bu.edu.sa

الموقع الإلكتروني: bujhs@portal.bu.edu.sa/ar/web/bujhs

مجلة جامعة الباحة للعلوم الإنسانية

رصد النشر الإلكتروني: 7472-1652

رصد: 7189-1652

العدد الثامن عشر... رجب 1440 هـ - إبريل 2019 م

المحتويات

- التعريف بالمجلة
الهيئة الاستشارية لمجلة جامعة الباحة للعلوم الإنسانية
المحتويات.....
- 1 المكان ودلالاته الرمزية في القصص القرآني " قصة موسى نموذجاً
د. سارة نجر ساير العتيبي
- 47 حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - في حل أكل الضيع: دراسة حديثة فقهية.....
د. صالح بن فريخ البهلال
- 75 القواعد النبوية في معالجة مشكلة الإدمان عند الشباب.....
د. نورة بنت فهد العبد
- 108 حديث " كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، سبحان الله
وبحمده سبحان الله العظيم": دراسة حديثة.....
د. مشعل حميد الهيبي
- 129 الأحكام المتعلقة بمتاع منزل الزوجية " دراسة فقهية"
د. عبد الخالق محمد عبد الخالق أحمد د. سعود بن ملوح العنزي
- 166 التخطيط الإداري في الفكر الإسلامي.....
د. خيرى عبد الفتاح حبيب عبد العزيز د. عبد الرحمن عبد الله عمر
- 185 أثر الغفلة وكثرة الغلط في الشهادة.....
أ. د. ماهر ذيب أبو شوايخ
- 201 البدر المنير الساري في الكلام على صحيح البخاري جمع العبد الفقير إلى الله تعالى عبد الكريم بن
عبد النور بن منير الحلبي عفا الله عز وجل
د. مريم بنت أحمد الخالد
- 237 الصدام الداخلي في صورة الأخر في الشعر العربي القديم تأبط شراً والبحتري نموذجاً.....
د. سعيد بن عبد الله القرني
- 254 مستويات الفصاحة عند أبي زيد الأنصاري "ت215هـ" والأصمعي "ت216هـ"
د. إيما بنت محمد مدني
- 272 إدراك طلبة كلية التربية بجامعة الباحة للمناخ الدراسي وعلاقته بانفعالات الإنجاز.....
د. عماد متولي أحمد ناصف
- 310 دراسة أسلوبية للوحات الإعلانية على الطريق السريع بين مدينتي مكة وجدة بالمملكة العربية
السعودية.....
A Stylistic Analysis of Billboard Advertising on the Jeddah-Makkah Saudi
Arabian Highway their Expectations to Draw Success Strategies.....
د. أمل محمد صالح شعيب الأستاذة / مي عبد القدوس أبو السمح

مستويات الفصاحة عند أبي زيد الأنصاري "ت ٢١٥هـ" والأصمعي "ت ٢١٦هـ"

د. إيمان بنت محمد مدني

أستاذ النحو والصرف المشارك بقسم اللغة العربية

في كلية الآداب - جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن

الملخص:

تعدّ دراسة الفصح في اللغة من الدراسات الأصيلة التي تبنى عليها الأحكام اللغوية والنحوية والأدبية ولذلك حظيت باهتمام علماء اللغة منذ القدم. وانبرى العلماء الأوائل يدرسون صيغ العربية ومفرداتها ويفاضلون بين مستوياتها في الفصاحة، واختلف بعضهم في الحكم الدقيق بين الفصح والأفصح، أو بين مراتب الكلم. وكان من أوائل من اهتمّ بتحديد طبيعة اللفظ وجمعه وتصنيفه وفق مستويات الفصاحة علمان من أعلام البصرة، وهما: أبو زيد الأنصاري "ت ٢١٥هـ" والأصمعي "ت ٢١٦هـ"، أما أبو زيد فقد توسّع في مقاييسه، وقد روى - فيما ذكره علماء اللغة - ثلثي اللغة، وأخذ عليه علماء اللغة عدم التفريق بين الضعيف والقوي أو الفصح والأفصح منه. وكان له منهج لغوي يختلف عن معاصره الأصمعي الذي تشدّد في رواية اللغة والفصح منها خاصّة، ولم يكن يقبل بالضعيف أو الشاذ أو المولّد، فلم يأخذ الفصح إلاّ من العرب الخُلص وقد تفرّد بمنهج في الفصح لم يلق كثيراً من النقد عند علماء اللغة بعده. وقد حاولت في هذا البحث أن أرصد مذهب هذين العلمين في دراسة الفصح من خلال أمثلة حفلت بها مصادر اللغة، مستخلصة منها مستويات الفصاحة عندهما، ودراسة الفصح عند علمين بارزين من أعلام اللغة يحتاج إلى اتّساع في البحث، وقد يكون هذا البحث قد ألمّ بأبرز الجوانب اللغوية التي تبين مستوى الفصاحة عند أبي زيد الأنصاري والأصمعي.

الكلمات المفتاحية: مستويات الفصاحة؛ أبو زيد الأنصاري؛ الأصمعي.

Levels of eloquence According to Abu Zeid Al-Ansari "T 215 AH" and Al-asma'i "T 216H"

Dr. Iman bint Mohammed Madani

Associate Professor of Grammar and Morphology, Department of Arabic Language
Faculty of Arts - Princess Noura bint Abdul Rahman University

Abstract:

The study of the language is one of the original studies on which linguistic, grammatical and literary judgments are based. The early scholars studied the Arabic language and its vocabulary and distinguished between their levels of eloquence, and some differed in the precise rule between the eloquent and the most eloquent ('al-Faisih' and 'al-Afsah'), or between the the levels of discourse. The first to identify the nature of the word and its collection and classification according to the levels of eloquence are the most famous scholars of Basra, namely: Abu Zeid Al-Ansari "D 215 AH" and Al-Asma'i "D 216H, Abu Zayd had expanded his paradigms, and told - as mentioned by linguists - two thirds of the language. Linguists drew upon him in not differentiating between the weak and strong or eloquent and more eloquent. He had a different linguistic approach from his contemporary Al-Asma'i, who emphasizes language telling and especially the eloquent language. He would not accept the weak or rare or derived and take the eloquent only from the oboriginous Arabs. He had a unique methodology in the eloquent discourse 'al-Faisih' and was not much criticized the linguists after him. In this research, I tried to trace the doctrine of these two scholars in the study of 'Al-Fasih' through examples taken from language sources deriving from them their levels of eloquence. The study of 'Al-Fasih' according to two prominent language scholars needs to expand the research. I hope that the research has covered the most important linguistic aspects that show the level of eloquence at the time according to Abizaid Al-Ansari and Al-Asma'i.

Keywords: Levels of eloquence, Abu Zeid Al-Ansari, Al-asma'i.

مقدمة:

الفصاحة صفة من صفات اللغة العربيّة، وأُسُّ من أسسها الذي بنيت عليه أصالتها، وقد حظيت دراسة الفصيح باهتمام علماء اللغة منذ مرحلة الجمع اللغوي.

مشكلة البحث:

إنّ من أوائل من اهتم بظاهرة "الفصيح في اللغة" علمان من أعلام المدرسة البصريّة، وهما: أبو زيد الأنصاري "ت ٢١٥هـ" والأصمعي "ت ٢١٦هـ".

وقد تفرّد كل علمٍ منهما بطريقة خاصّة في الحكم على فصاحة الصيغ والكلم، فقام البحث على تبيان مقاييس الفصاحة ومستوياتها عند هذين العلمين لما لهما من إسهامات واضحة في ظاهرة الفصيح.

أهميّة البحث:

تكمن أهميّة البحث في توضيح دور علماء العرب الأوائل في الحفاظ على فصاحة اللفظ، ووضعهم مقاييس وضوابط تحفظ اللغة من اللحن أو الميل إلى الشذوذ والضعف، وهو تفكير لغوي دقيق في زمن مبكّر.

الدافع إلى البحث:

تقديم صورة واضحة عن أسس أبي زيد الأنصاري والأصمعي في ميدان الفصيح وهما علمان من مدرسة لغوية ونحويّة واحدة، وهي المدرسة البصريّة، وعاشا في العصر ذاته، ومع ذلك اختلفا في رواية اللغة ومقاييس الفصاحة.

فقد توسّع أبو زيد الأنصاري في مقاييسه، وكان هدفه جمع اللغة ممّا جعل النقاد يأخذون عليه إجراءه الضعيف مجرى القوي، ولا يكاد يفرّق في بعض المواضع بين الفصيح والأفصح، بينما كان مذهب الأصمعي التشدّد في أخذ اللغات والتضييق في رواية اللغة، فلا يجيز إلاّ أفصح اللغات.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تقديم صورة عن منهج أبي زيد الأنصاري والأصمعي في عرض الفصيح، وتأصيل مصطلح الفصيح، وانتقال مدلوله بالتطوّر الدلالي. والوقوف على المنهج العام في الفصيح عند كلا العلمين، لأنّ لكلٍ منهما مذهباً متفرّداً عن الآخر، والنقاد وعلماء اللغة قد ربطوا بينهما في كثير من المواضع عند الحديث عن فصاحة الصيغ والمفردات، ولاسيّما أنّهما عاشا في عصر واحد، عصر الفصاحة والسماع من العرب الخلّص.

حدود البحث المكانيّة والزمنيّة:

البحث يتحدث عن عالّمين من علماء البصرة، وقد عاشا في القرن الثاني للهجرة والعقد الأول من القرن الثالث الهجري، وهو عصر اللغة الذهبي والأخذ عن العرب الأقحاح الفصحاء.

فروض البحث وأسئلته:

يحاول البحث تقديم إجابة عن أسئلة قد تدور في أذهان الباحثين والدارسين لعلوم اللغة، وتتجلى في أمور متعدّدة:

١. ما مستويات الفصاحة عند أعلام اللغة المتقدّمين؟
٢. لمّ تمّ اختيار أبي زيد الأنصاري والأصمعي للمقارنة بينهما في ميدان الفصاحة عند علماء اللغة القدامى والمحدثين؟
٣. ما موقف أبي زيد الأنصاري من الفصيح؟ وما سمات مذهبه فيه؟
٤. ما مذهب الأصمعي في قبول الفصيح؟

أدبيّات البحث والدراسات السابقة:

ثمّة دراسات كثيرة عرضت لمصطلح الفصيح عامّة، وأخرى تناولت اللغة عند أبي زيد الأنصاري، وثالثة تحدّثت عن منهج الأصمعي اللغوي، أما الكتب المؤلّفة في الفصيح فهي أكثر من أن تحصى قدماً وحديثاً، فكلُّ ما يتناول الضبط اللغوي ولحن العامة وإصلاح المنطق ومفردات اللغة ومعاجمها يدخل ضمن نطاق الفصاحة العام.

ومن الدراسات الحديثة التي تناولت الفصيح:

- علم الفصاحة العربية: د. محمد علي رزق الخفاجي، القاهرة، ١٩٨٢ م.
- المستوى اللغوي للفصحى واللهجات والنثر والشعر: د. محمد عيد، القاهرة، دون تاريخ.
- الأصمعي اللغوي: د. ناجح عبد الحافظ مبروك، القاهرة، ١٩٧٨ م.
- أبو زيد الأنصاري وأثره في دراسة اللغة: إبراهيم يوسف السيّد، الرياض، ١٩٨٠ م.

منهج البحث:

اعتمدت في بحثي المنهج الاستقرائي الوصفي عند الحديث عن مقاييس الفصاحة عند كلّ علم على حدة، ومن ثمّ اعتمدت المنهج المقارن لتوضيح أسس التباين والتمييز بين أبرز علمين من علماء البصرة، ولم تخل كثير من الجوانب من التحليل أثناء الوصف والمقارنة.

مستويات الفصاحة:

قبل البدء بالحديث عن مستويات الفصاحة لا بدّ من التأمّل اللغوي لمصطلح "الفصيح" وتحديد المدلولات المتعدّدة له، حتى يتبيّن لنا المقصود من هذا المصطلح عند أعلام اللغة المتقدّمين، ومن خلال استقراء عديد من معاجم اللغة نقف على المعاني الأساسية التالية لهذا المصطلح والتي تدور حول الإبانة والإيضاح والصفاء والنقاء

والظهور وهذه المعاني مأخوذة من المعنى الدلالي الحسيّ لمادة "فصح"، والتي أطلقت بداية على اللبن الذي خلص مما يشوبه، فقد ذكر الخليل بن أحمد الفراهيدي أن "تفصيح اللبّن ذهاب اللبّا عنه" (١).

وذكر ابن دريد: "وأفصح اللبن، انجَلت رَعْوُته" (٢).

وقال ابن فارس: "أفصح اللبن، سَكَنْت رَعْوُته" (٣).

وإلى مثل هذه الأقوال اللغويّة ذهب جمهور أهل اللغة. (٤)

هذا المعنى اللغوي الأصيل للجذر اللغوي، أمّا في المعنى الاصطلاحي الاشتقاقي فيمكن إجمال أبرز المعاني المشتقة من هذا الجذر بالنقاء والبيان والوضوح والصفاء، وهي معانٍ متطورة دلاليّاً عن معنى واحد وهو تفصّح اللبن ونقاؤه ممّا يشوبه، وهذا ما أشار إليه ابن فارس حين قال:

((الفاء والصاد والحاء: أصلٌ يدلُّ على خلوص في شيء ونقاء من الشّوبِ، من ذلك اللِّسانُ الفصيحُ،

الطُّلُقُ، والكلامُ الفصيحُ، العربيُّ، والأصلُ: أفصح اللبْنُ، سَكَنْت رَعْوُته)) (٥).

ونقل ابن منظور في التّأصيل لهذا المصطلح:

((ويومٌ مُفصِّحٌ لا غيمٌ فيه ولا قَرٌّ... وأفصح البَوْلُ: كأنّه صفا... وأفصح الصُّبْحُ: بدا ضوءه واستبان. وكلُّ

ما وضح فقد أفصح، وكلُّ واضحٍ مُفصِّحٌ)) (٦).

فالمعاني الحسيّة السابقة انتقلت دلالتها لتغدو دالّة فيما بعد على البيان وجودة اللغة والإعراب في المنطق وذلك عن طريق انتقال الدلالة وتخصيصها والمجاز والاستعارة.

وقد أشار الرّاعب الأصفهاني إلى هذا الانتقال الدلالي والاستعارة بقوله: ((الفَصْحُ: حُلُوصُ الشّيء ممّا

يشوبه، وأصله في اللبّن.. إذا تعرّى من الرّغوة.. ومنه استعير: فَصَّحَ الرَّجُلُ: جادت لُغته، وأفصح: تكلم بالعربيّة..

وعن هذا استعير: أفصَحَ الصُّبْحُ: إذا بدا ضوءه، وأفصح النَّصارى: جاء فَصْحُهُم، أي عيدُهُم)) (٧).

وقال الزمخشري: ((ومن المَجاز: فَصَّحَ: انطلق لسانه بها، وحلّصت لُغته من اللُّكنة...)) (٨).

(١) العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، ١٢١/٣.

(٢) جمهرة اللغة لابن دريد الأزدي، ١٦٣/٢.

(٣) مقاييس اللغة لأحمد بن فارس، "فصح" ٨٤٦.

(٤) انظر: تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري ٦/١١، وإصلاح المنطق لابن السكيت ٢٥٤، والصحاح للجوهري "فصح"، والمخصص لابن سيده ٤٠/٥، واللسان لابن منظور "فصح"، وتاج العروس للمرطبي الزبيدي "فصح".

(٥) مقاييس اللغة "فصح" ٨٤٦.

(٦) اللسان "فصح".

(٧) مفردات ألفاظ القرآن للرّاعب الأصفهاني ٦٣٧.

(٨) أساس البلاغة للزمخشري "فصح" ٣٤٣.

وجاء في اللسان: "الفصاحة: البيان.. ورجلٌ فصيحٌ وكلام فصيحٌ أي: بليغ، ولسان فصيحٌ أي: طلقٌ... والفصيح في اللغة: المنطلق اللسان في القول الذي يعرف جيّد الكلام من رديئه... والفصيح في كلام العامّة المعرّب.."^(١).

وبعد التأصيل اللغوي للجذر "فصح" نقف على جملة من تعريفات المصطلح اللغوي "الفصيح" وتحديد حدوده فقد عرّف الجاحظ فصاحة المتكلم بقوله:

((وكان يقال: أفصح الناس أسهلهم لفظاً، وأحسنهم بديهة))^(٢).

ويعرّف ابن وهب - ٣٧٧هـ - الفصيح بقوله:

((وأما الفصيح من الكلام، فهو ما وافق لغة العرب ولم يخرج عمّا عليه أهل الأدب، ولتصحيح ذلك وُضِع النحو، وجمّعه وضعت الكتب، ودُكر المستعمل منها والشاذّ والمهمّل..))^(٣). وقد أشار القزويني إلى فصاحة الكلمة بقوله:

((وأما فصاحة المفرد، فهو خلوصه من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس اللغوي))^(٤).

ومن التعريفات السابقة نخلص إلى أن علماء العربية ذكروا حدوداً وشروطاً للفصاحة تتجلى في: خلوص الكلام من التنافر والغرابة وعدم مخالفة القياس وسهولة اللفظ من حيث اعتدال عدد حروفه وأصالة عروبه.

وقد تناول علماء اللغة الحديث عن شروط الفصاحة والفصيح بشيء من التفصيل والاتساع.^(٥)

وثمة مصطلحات تماثل الفصيح أو تقاربه، وقد تنوب عنه، ومنها: الجودة والكثرة والإعراب والغلو والاختيار، وقد عبّر كثير من أهل اللغة عن الفصيح بهذه المصطلحات، ولن نقف على تخصيص الفروق بين هذه المصطلحات، لأنّها تحتاج بحثاً مستقلاً.

وسنقف في بحثنا على علمين من أعلام الفصاحة من أهل البصرة وهما: أبو زيد الأنصاري والأصمعي، وقد وقع اختياري على هذين العلمين دون غيرهما من أعلام المدرسة البصرية لأنهما من أبرز علماء هذه المدرسة، وقد ألفا في ميدان اللفظ الفصيح والنادر رسائل وكتباً متعدّدة، وتركاً أثراً فيمن جاء بعدهما من علماء اللغة، وعرفا بسعة علمهما وسماعهما من الأعراب، ولهما مواقف واضحة من الفصيح، وقد اختلفا في ذلك كما سيظهر لنا. وسأتناول كل علم منهما على حدة فأحدث عن الفصيح عند أبي زيد الأنصاري وأسس جمع الفصيح وموقفه من لغات العرب.

(١) اللسان "فصح".

(٢) البلاغة والإيجاز للجاحظ ٢٣.

(٣) البرهان في وجوه البيان لابن وهب ٢١٦.

(٤) الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني ٧٢/١.

(٥) انظر: مفتاح العلوم للسكاكي ١٩٦، والمزهر للسيوطي ١٨٩/١، ١٩٠، ١٩٣، علم الفصاحة العربية للدكتور محمد علي الخفاجي ١٢٧، ١٢٨.

أولاً: أبو زيد الأنصاري "ت ٢١٥هـ":

هو سعيد بن أوس الأنصاري الخزرجي، كان لغويًا ونحويًا^(١) وكانت حلقة بالبصرة ينتابها الناس، وهو ثقة عند غير واحد من أهل العلم، قال عنه السيرافي: ((كان أبو زيد كثير السماع من العرب، ثقة، مقبول الرواية))^(٢). ويقول أبو زيد عن نفسه: ((إذا قال سيبويه: حدثني من أثقُّ به، فإنَّما يعنيني))^(٣). ومن الاطلاع على آثار أبي زيد الأنصاري والنوادر أبرزها وآراء علماء اللغة، نقف على نصوصٍ تظهر موقف أبي زيد من الفصح، وسمات هذا الموقف تبدى في:

١- توسّعه في الرواية:

عرف عن أبي زيد الأنصاريّ أنّه يتّسع في الرواية، ويروي كمًّا هائلًا من مفردات اللغة، وهذا ما ذكره أبو علي الفارسي في قوله:

((كان أبو سعيد يتّسع في اللغات، حتّى ربّما جاء بالشيء الضعيف فيجربه مجرى القوي))^(٤).

وكذلك ما جاء عن أبي الطيّب اللغويّ في إطار حديثه عن رواية اللغة، قال:

((كان الأصمعي يُجيب في ثلث اللّغة، وكان أبو عبيد يجيب في نصفها، وكان أبو زيد يجيب في ثلثها))^(٥).

ولعلّ توسّع أبي زيد الأنصاري في رواية ألفاظ اللغة وولعه بنقل كلّ ما يسمعه، وتسجيله، جعله يجيز أحيانًا ما يرده غيره من علماء اللغة، ويخلط بين رتب الفصاحة، فغايتة نقل اللغة بغض النظر - في كثير من الأحيان - عن مراتب الفصاحة، وربّما كان همّ علماء اللغة الأوائل رواية ألفاظ اللغة وتدوينها وحفظها خوفًا عليها من الضياع فوقعوا أحيانًا في هذا الخلط بين مراتب الكلم من ضعيف ونادر وفصح وقليل.

والاتّساع في الرواية يعرّض صاحبه للخلط بين الشاذ والقليل والفصح... وإلى هذا أشار الزبيدي في كتابه حين قال: ((وكان أبو زيد يتّسع في اللّغات وكلّ ما اتّسع في اللّغات فهو شرٌّ))^(٦).

ومن الأمثلة التي ذكرها أبو زيد الأنصاري في كتبه ونقلها عنه علماء اللغة شاهدًا على توسّعه في اللغة قوله:

((وقال أبو زيد: بيّنهما بؤنّ وبيّن، والأصمعي لا يجيز إلاّ البؤنّ، وهو الوجه. وكان أبو زيد يجيز بينهما

بيّن وذلك لأنّه يوسّع اللغات، ويجيز ما يرده الأصمعيّ في كثيرٍ من الأشياء))^(٧).

(١) انظر ترجمته في: أخبار النحويين البصريين للسيرافي ٤١، وطبقات النحويين واللغويين للزبيدي ١٨٢.

(٢) أخبار النحويين البصريين ٤٢.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٤٤/٣، ٤٥.

(٤) المسائل العسكرية لأبي علي الفارسي ١٠٢، والمخصّص لابن سيده ٢٤٨/١٤.

(٥) انظر المزهري ٤٠٢/٢.

(٦) طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ١٨٢.

(٧) الألفاظ الكتابية للهمداني ١٩٧.

وفي كتاب أدب الكاتب تتناثر أقوال أبي زيد الأنصاري، ونجد خمسة وأربعين موضعاً استشهاد ابن قتيبة فيها برواية أبي زيد الأنصاري للألفاظ، وهذا دليل على سعة روايته. ومنها قوله: ((قال الأصمعي: عُنِسَت المرأة، إذا كَبُرَتْ، ولم تُزَوَّجْ فهي مُعَسَّسَة، ولا يُقال: عَنَسَتْ، وأبو زيد يُجيزه، وقال: تَعُنُسُ عُنُوساً، وهي عَانِسٌ))^(١).

ومن متابعة رواية أبي زيد الأنصاري للغة وتوسّعه فيها نجد في مواضع كثيرة ردّ الأصمعي عليها وإنكاره ما توسّع فيه. وقد حفلت كتب اللغة بما أجازه أبو زيد وردّه الأصمعي، ومن ذلك قوله:

((وَجَبَبَتِ الرِّيحُ وَأَجَبَبَتِ، وَشَمَلَتْ وَأَشْمَلَتْ، وَدَبَّرَتْ وَأَدْبَرَتْ، وَصَبَّتْ وَأَصَبَّتْ، أَجَازَ ذَلِكَ أَبُو زَيْدٍ وَأَبُو عُبَيْدَةَ، وَلَمْ يُجِزْهُ الْأَصْمَعِيُّ، ثُمَّ زَعَمُوا أَنَّ أَبَا زَيْدٍ رَجَعَ عَنْهُ))^(٢).

ونقل الجوهري: ((وقد زها النخل زهواً وأزهى، لغة حكاها أبو زيد، ولم يعرفها الأصمعي))^(٣).

ولو تتبعنا ما رصدته كتب اللغة من خلاف بين أبي زيد والأصمعي في إجازة أوزان ومفردات لغوية لاحتجنا إلى مؤلف كبير للبحث والتقصّي. ولكن من الملاحظ أنّ الأصمعي أكثر دقة وتشدداً وتمحيصاً لكلام العرب وأوزانها- كما سيرد لاحقاً- من أبي زيد، وأن توسّع أبي زيد في الرواية جعله أحياناً يجري الضعيف مجرى القوي فاختلف مقياس الأفصح والصواب عنده قليلاً.

ولكن هذا لا يدعنا نطلق أحكاماً عامّة حول منهجه اللغوي تقضي بعدم التحري المطلق لرواية اللغة أو التوسع الدائم دون قيد أو شرط. فقد مثل مذهباً لغوياً يتفرد بالتوسع وما رد من ألفاظ عن مستوى الفصاحة قد يكون لهجة لقبائل أخرى، أو أنه تلقاها من الأعراب الذين لقيهم، أو أن بعض اللغويين والأصمعي أبرزهم تشدّدوا كثيراً في اللغة فلم يقبلوا إلا بأعلى الصيغ وأفصح المفردات وأكثرها انتشاراً، وأحياناً كان يؤخذ بقول أبي زيد رغم إنكار الأصمعي، ومثال ذلك ما روي في القراءات القرآنيّة ممّا أنكره الأصمعي وأجازه أبو زيد قوله (حزن وأحزن): قال أبو حاتم: ((وهما جائزان لأنّ القراء قرؤوا لا يَحْزُهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ، ولا يُحْزُهُمُ، جميعاً، بفتح الياء وضّمّها))^(٤).

٢- مساواة الفصيح بالشاذ:

ويتهم أبو زيد بأنه لا يفرّق أحياناً في مقاييسه اللغوية بين اللفظ الفصيح والشاذ، فقد أورد السيوطي في المزهرة نصّاً لأبي حاتم السجستاني "ت ٢٠٥هـ" يتهم أبا زيد بمساواة الفصيح بالشاذ، فقال: ((كان الأصمعي يقول أفصح اللغات، ويُلغى ما سواها، وأبو زيد يجعل الشاذّ والفصيح واحداً فيُجيز كلَّ شيء قيل))^(٥).

(١) أدب الكاتب لابن قتيبة ٣٧٧.

(٢) جمهرة اللغة لابن دريد ٤٣٥/٣.

(٣) الصحاح "زهو".

(٤) والقراءة في: النشر في القراءات العشر لابن الجزري ١٩٤/٢، وانظر: المزهرة ٢٣٣/١.

(٥) المزهرة ٢٣٣/١.

وقد أنكر بعض علماء اللغة ما جاء به أبو زيد من لغات وصيغ واعتبروها رديئة. نقل ابن منظور في اللسان: ((قال الجوهري: وحكى أبو زيد: "سَخِرْتُ به" وهو أردأ اللغتين وقال الأخفش: "سَخِرْتُ منه وسَخِرْتُ به" (١)).

هذا القول السابق يذكر أنّ ما رواه أبو زيد أردأ اللغتين، ثم يورد للأخفش تجويزه للفتين دون تفريق بينهما. وهذا يدلّ أنّ المستوى الصوابي لم يكن ثابتاً واحداً، وأنّ أبا زيد لم يكن ليسوي الشاذّ بالفصح دائماً، وأنّه رجل تعنيه الفصاحة، وتدلّنا شواهد العلماء على ذلك، فقد أنكر أبو زيد على الكسائي أخذه عن أعراب لا يحتجّ بهم وذلك حرصاً منه على الفصاحة، فقد روي عنه قوله: ((قدّم علينا الكسائيّ البصرة، فلقي أعراب الحطّميّة فأخذ عنهم الفساد من الخطأ واللعن، فأفسد ما كان أخذه بالبصرة كلّه)) (٢).

وكذلك ما جاء في أخبار النحويين البصريين حول حرص أبي زيد على الصيغة الفصيحة في قول أبي حاتم: ((قال لي أبو زيد الأنصاري: سألتني الحكم بن قنبر عن تعاهدت: ضيعتي أو تعهدت، فقلت: "تعهدت" لا يكون إلا ذلك، قال: فقال لي: فاثبت على هذا، وإذا سألك يونس فقل: نعم، وكان الحكم بن قنبر سأل يونس فقال: تعاهدت. قال: فلما جئتُ سأله، فقال يونس: تعاهدت، فقال أبو زيد: فقلت: لا. وكان عنده ستّة من الأعراب الفصحاء، فقلت: سل هؤلاء. فبدأ بالأقرب إليه فالأقرب، فسألهم واحداً واحداً، فكُلُّهم قال: تعهدت. فقال: يا أبا زيد: رَبِّ عَلِمَ كُنْتُ سَبَبَهُ أَوْ شَيْئاً نَحْوَ هَذَا)) (٣). وفي هذا النص دليلٌ على حرص أبي زيد على فصاحة الكلمة وتقصيها عند الأعراب.

٣- المفاضلة بين القبائل في رتب الفصاحة:

فقد قسّم رتب الفصاحة بين القبائل فقال: ((أفصح الناس سافلة العالية، وعالية السافلة، يعني هوازن، وأهل العالية، أهل المدينة ومن حولها، ومن يليها، ومن دنا منها، ولغتهم ليست بتلك عنده)) (٤). وقال: ((لست أقول: "قالت العرب" إلا ما سمعته من هؤلاء: بكر بن هوازن، وبني كلاب، وبني هلال، أو من عالية السافلة أو سافلة العالية، وإلا لم أقل: "قالت العرب" (٥)).

من خلال هذه النصوص التي يعزو فيها أبو زيد الفصاحة إلى قبائل معينة، ويأخذ أحكامه منها، وذلك عن طريق السماع دليل على حرصه على مقاييس الصواب، ودقته في الأخذ عن القبائل التي يحتج بها في اللغة لنقاء لسانها وجودة لغتها وبعدها عن اللحن وفصاحتها.

(١) اللسان "سخر".

(٢) معجم الأدباء لياقوت الحموي ١٣/١٨٢.

(٣) أخبار النحويين البصريين ٤٢.

(٤) المزهري ٢/٤٨٣، وانظر: العمدة لابن رشيق القيرواني ١/٨٨، ٨٩.

(٥) المزهري ١/١٥١.

ويمكن إجمال منهج أبي زيد النصاري في اعتماده الفصيح في النقاط التالية:

١. توسّعه في الرواية، فكان يجيب في ثلثي اللغة، ويجري الضعيف مجرى القوي.
٢. مساواة الفصيح بالشاذ في مواضع كثيرة، وقد أنكر بعض العلماء كثيراً من اللغات والصيغ التي أجازها.
٣. المفاضلة بين القبائل في رتب الفصاحة.

ومن استقراء لأمثلة كثيرة ممّا جاء به أبو زيد الأنصاري يمكن القول إن كثيراً ممّا اتهم به أبو زيد من تجويز الألفاظ أو مساواة للشاذ بالفصيح أو إجراء الضعيف مجرى القوي يعود إلى توسّعه في الرواية، وأخذه عن لهجات القبائل المتعدّدة، خلافاً لما سناه عند علم آخر من أعلام مدرسة البصرة وهو الأصمعي.

ثانياً: الأصمعي:

عبد الملك بن قريب الباهلي الأصمعي "ت ٢١٦هـ"، العلامة اللغوي والحافظ الثقة الذي طبقت شهرته الآفاق، قال عنه الإمام الشافعي: ((ما عبّر أحدٌ عن العرب بمثل عبارة الأصمعي))^(١). وشهادات العلماء التي تدل على سمو مكانته وغزارة علمه وقوة حافظته ودقة ألفاظه وتعاييره كثيرة جداً، ويهمّنا في بحثنا منهجه في الفصيح، فقد كان حريصاً على الفصيح، ومقاييسه دقيقة ومحكمة، ومن أهم أسسه:

١- التشدد في الحرص على الفصيح وانتقاء الأفصح:

وهذا المنهج يعرفه علماء اللغة جميعهم، فقد نقل ابن سيده قول أبي علي الفارسي وهو: ((وكان الأصمعي مولعاً بالجيّد المشهور، ويضيق فيما سواه))^(٢).

وقال أبو هلال العسكري: ((كان الأصمعي مولعاً بأجود اللغات))^(٣).

وذكر السيوطي أنّ الأصمعي ((لا يفتي إلاّ فيما أجمع عليه العلماء، ويقف عمّا ينفردون به، ولا يجيز إلاّ أفصح اللغات))^(٤).

والنصوص التي تذكر اهتمام السيوطي بأفصح اللغات وولعه بها، أكثر من أن تحصى.

٢- الأخذ عن الشعراء الفصحاء والمفاضلة بين الروايات الشعرية:

ولم يكتف الأصمعي في عنايته بالفصيح باهتمامه بالألفاظ اللغوية، بل كان يحكم على الشعراء بمعايير الفصاحة ويروي الفصيح من الأشعار، ويفاضل بين الروايات الشعرية فيقصد الروايات الصحاخ الفصيحة ولا يعرّج على الشاذ، ومن ذلك ما ذكره أبو حاتم السجستاني قال: ((وسألت الأصمعي عن المُخَيِّف العامريّ الذي قال

(١) بغية الوعاة للسيوطي ١١٢/٢، ١١٣.

(٢) المخصّص ٢٤٨/١٤.

(٣) التلخيص لأبي هلال العسكري ٣١٥/١.

(٤) بغية الوعاة ١١٢/٢.

في النساء، قال: ليس بفصيح ولا حجة. وسألته عن زياد الأعجم، فقال: حجة لم يُتعلّق عليه بلحن، وكنيته أبو أمامة. قلت: فأخبرني عن عبد بني الحسحاس. قال: هو فصيح، وهو زنجي أسود. قال: وأبو دلامة عبد رأيت مولد حبشي. قلت: أفصيحاً كان؟ قال: هو صالح في الفصاحة. قال: وأبو عطاء السندي: عبد أخرج مشقوق الأذن. قلت: أو كان في الأعراب؟ قال: لا، ولكنه فصيح. (١)

ومن التدقيق في حكم الأصمعي على الشعراء من خلال النص السابق يمكن القول إن مقاييس الفصاحة التي يضعها الأصمعي تعود إلى علمه بأحوال الشعراء الذاتية وتحديد قبائلهم ومكانتهم، فمنهم الحبشي والزنجي والعبد والمولد.

ولم يكن ليتجرأ أحد من اللغويين أن يطعن بالشعراء الفحول خاصة غير الأصمعي، وهذا ما ذكره المرزباني في قوله: ((أثنى رجل في مجلس علم على الأصمعي، فقال: من هذا الذي يجسر أن يُخطئ الفحول من الشعراء غيره)) (٢). وأشار قبله أبو علي الفارسي إلى هذا، فقال: ((وقد طعن الأصمعي على غير شاعر احتج به غيره كذي الرمة والكميت)) (٣).

ومقياس طعنه على الفحول يختلف من شاعر لآخر، فهو يقول عن ذي الرمة مثلاً: ((وذو الرمة حجة لأنه بدوي، ولكن ليس يشبه شعره شعر العرب، إلا في واحدة..)) (٤).

ويقول فيه: ((ذو الرمة طالما أكل المالح والبقول في حوانيت البقالين)) (٥).

ويتضح من النص السابق أنّ ذا الرمة شاعر بدوي وغالب شعره فصيح ولكن مخالطته أهل المدينة غيرت شيئاً من طبيعة حياته وشخصيته وفصاحته، فلم يسر على طريقة أهل البدو في شعره.

وقد عاب الأصمعي على ذي الرمة قوله: (٦)

حتى إذا دومت في الأرض أدركه
كبّر ولو شاء نجى نفسه الهرب

فقد روي عن الأصمعي قوله: ((والفصحاء لا يقولون: دوم في الأرض، وإنما يقولون: دوم في السماء: إذا حلق، ودوى في الأرض إذا ذهب)) (٧).

فلم تشفع لذي الرمة بداوة أصله، حين يعدل عن الأفصح في الكلام.

(١) فحولة الشعراء للأصمعي ١٦.

(٢) معجم الأدباء لياقوت الحموي ٢٤٣/٧.

(٣) المسائل العسكرية لأبي علي الفارسي ١٠٢.

(٤) فحولة الشعراء ٢٠.

(٥) الخصائص ٢٩٥/٣.

(٦) ديوان ذي الرمة ٣٠/١.

(٧) المخصّص ٤٩/٥، ٥٠.

٣- لغة القرآن الكريم هي أعلى اللغات وأفصحها، فلا يخوض في تفسيرها:

وقد كانت لغة القرآن الكريم هي المثل الأعلى للفصاحة عنده، فقد أنكر بعض اللغات الفصيحة المستعملة لورود الأفصح في القرآن الكريم، ومن ذلك إنكاره "زوجة" بالتاء في الدلالة على المرأة، وقد ذكر هذا عنه أبو حيان السجستاني فقال: ((كان الأصمعي ينكر "زوجة" ويقول: إنما هي "زوج" ويحتج بقول الله تعالى: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾^(١))).

وما أنكره الأصمعي هو فصيح بدلالة استعماله عند الشعراء مثل عبدة بن الطيب. وقد ذكر ذلك السجستاني بقوله: ((وقد قرأنا عليه من قبل لأفصح الناس، فلم ينكره:

فبكى بتاتي شجوهن وزوجتي والطامعون إليّ ثم تصدّعوا))^(٢)

ولكن الأصمعي لا يميز إلا أفصح اللغات، وأفصح اللغات ما ورد في القرآن الكريم. فهو المثل الأعلى للفصاحة. ولكن الأصمعي مع حرصه على أفصح الألفاظ، والصيغ الدقيقة للكلام كان يتورع عن الخوض في صيغ القرآن الكريم أو تفسير شيء منه، فقد قال عنه أبو الطيب: ((ولم ير الناس أحضراً جواباً، وأتقن لما يحفظ من الأصمعي، ولا أصدق لهجة، وكان شديد التأله، فكان لا يفسر شيئاً من القرآن، ولا شيئاً من اللغة له نظير واشتقاق في القرآن، وكذلك الحديث تحرجاً)).^(٣)

ومن الصيغ التي كان يمتنع عن الحديث في فصاحتها ما ذكره ابن دريد فقال: ((المطرُ معروفٌ، مطرت السماء تُمطرُ مطراً فجعلوه مصدراً، وأمطرت تُمطرُ، وأمطرت السماء لغةً فصيحاً لم يتكلم فيها الأصمعي، لأنه جاء في القرآن: ﴿عَارِضٌ مُّطِرُنَا﴾^(٤)، و﴿أَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾^(٥))).^(٦)

وقال ابن دريد أيضاً:

((قال أبو زيد: وَحَى وَأَوْحَى بمعنى، ولم يتكلم فيه الأصمعي لأنه في القرآن، وكان لا يتكلم في مثله))^(٧).
إذن: الأصمعي الذي يتجرأ على فحول الشعراء ليثبت الأفصح وينكر بعض الصيغ التي جاءت على "فَعَلْ وَأَفْعَلْ" في كلام العرب، كان يحجم عن إطلاق مثل هذه الأحكام في القرآن الكريم، على علمه الواسع بالقرآن الكريم وألفاظه وإذا وردت صيغة في شعر العرب والقرآن الكريم آثر الأفصح الوارد في القرآن الكريم.

(١) الخصائص ٣/٢٩٥.

(٢) البيت لعبدة بن الطيب في: شعر عبدة بن الطيب ١٠٠.

(٣) مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ٤٨.

(٤) الأحقاف ٤٦/٢٤.

(٥) الأعراف ٧/٨٤.

(٦) جمهرة اللغة ٢/٣٧٥.

(٧) جمهرة اللغة ١/١٧٢.

٤- أخذ اللغة عن الأعراب الفصحاء:

ومن أسس منهجه في الفصح الأخذ عن الأعراب الذين يثق بفصاحتهم ويرتضي عربيتهم، فقد روى عن النساء الفصيحات، فقال:

((أنشدتني عجوزٌ بِجَمَى ضَرِيَّةٍ... قال الأصمعي: فما رأيتُ امرأةً أحلى منها لفظاً، ولا أفصح لساناً))^(١).

وروى المبرّد عن الأصمعي أنّه قال:

((رأيتُ امرأةً من تميمٍ لم أرَ أفصح منها، فسمعتها تدعو على أخرى، وتقول: إن كُنْتُ كاذِبَةً فَحَلَبْتُ قاعدةً. قال: رِغِيَّةُ الغنمِ عندهم ضَعَةٌ، فإِذَا تَمَتَّتْ لها ذلك))^(٢).

الأصمعي يتتبع الفصاحة أنّى كان منبعها، فكان يأنس بالفصحاء الشباب والصبيان من الأعراب، فالفصاحة ليست وقفاً على الرجال دون النساء ولا على من تقدّمت به السن لأنّه عاش في زمن القدماء فقد روي عن الأصمعي قوله:

((رأيت بقاءً شاباً من بني عامر، فما رأيتُ بدويّاً أفصح منه، ولا أظرفَ، فوالله لكأنّه شواظٌ يتلظى))^(٣).

وقوله: ((لقيت صبيّاً من الأعراب، ما أظنّه ناهز عشرين سنة، فإذا هو من أفصح الناس، فقلت متعنتاً، هل تقول الشعر؟ فقال: وأبيك وأنا دون الفطام))^(٤).

إذن: الأصمعي عاش في عصر الفصاحة، وهو ينتقي الأفصح من الأقوال بغض النظر عن صاحبها أو عن قبيلته ومكانته، إذ كان يتتبع الفصحاء ويحدّد قبائلهم وأماكنهم كما يتّضح لنا من الأمثلة السابقة.

٥- التفاضل بين القبائل في الفصاحة:

ويمحصّ الأصمعي في لغات العرب، ويرى في لغة قريش تميّزاً في الفصاحة لأنّها خلت من مستبشع اللغات وارتفعت عمّا أصاب غيرها من عيوب النطق والكلام، فقد روي عنه قوله:

((ارتفعت قريشٌ في الفصاحة عن عننة تميم، وتلثلة بھراء، وكشكشة ربيعة، وكسكسة هوازن، وتضجّع قيس، وعجرفيّة ضبّة))^(٥).

لكن الأصمعي لا ينفى الفصاحة عن لغات القبائل الأخرى بدليل روايته للفصاحة في قبائل كثيرة أخرى، وقوله: ((وكنا نسمع أصحابنا يقولون: أفصح الناس تميم وقيس، وأزد السّراة، وبنو عُذرة))^(٦).

(١) أمالي القالي ٢/٢٨٧.

(٢) الفاضل للمبرّد ١١٥/١٤.

(٣) أمالي المرتضى ١/٤٩٩.

(٤) شرح أبيات المغني للبغدادي ٢/٢١٨.

(٥) سر صناعة الإعراب لابن جني ١/٢٣٤.

(٦) الفاضل ١١٣.

وهذا النص لا يتعارض مع سابقه، لأنّ الفصاحة لم تكن خاصة بقريش، والقرآن الكريم لم ينزل بلهجتها وحدها بل تبلورت جميع اللهجات فيه، وكذلك كان دور قريش الاصطفاء والانتقاء من أفصح اللغات من القبائل، فغدت بذلك أفصح العرب.^(١)

٦- ردّ اللغات الضعيفة والشاذة والمولدة:

ولعلّ حرص الأصمعي على الفصح وولعه بأجود اللغات جعله يردّ اللغات الضعيفة والشاذة والمولدة وكلام العامة. وقد عرف كبار النحويين واللغويين هذه السمة البارزة فيه، فقال أبو جعفر النحاس: ((كان الأصمعي يردّ اللغات الشاذة التي لا تكثر في كلام الفصحاء))^(٢).

وتحفل كتب اللغة بالكلام الذي ينكره الأصمعي ويقول عنه: ((وهو كلام مولد)).

ومن ذلك: ((وما عدا من بدا)) مولد، وصوابه: ((أما عدا من بدا))^(٣) و((الصلاة الأولى))، والصواب ((صلاة الهاجرة))^(٤).

ومما أنكره الأصمعي من لحن العامة ما ذكره الأزهري في قوله: ((.. أبو حاتم عن الأصمعي: يقال ما يسُرُّني به مُفْرِحٌ، ولا يجوز مُفْرُوحٌ، وهذا عنده من لحن العامة))^(٥).

وما ينكره من مثل هذا كثير.

وقد أنكر من صيغة فعل كثير مثل: "حكم" و"عنّ"، و"نهج" و"وعز".^(٦)

وقد أنكر من صيغة أفعال أيضاً مثل: "أبرق"، "أحزن" "أزعد"، و"أزها".^(٧)

والمتتبع للصيغ التي ينكرها الأصمعي يقف على أنّ أغلب ما ينكره الأصمعي هو من صيغة "أفعل" وتكاد

قبيلة تميم هي الأكثر استعمالاً لهذه الصيغة دون غيرها من القبائل.^(٨)

ومن ذلك ما جاء في اللسان: "حزّنه لغة قريش، وأحزّنه لغة تميم"^(٩) وذكر أبو جعفر النحاس ذلك في قوله:

((حكى أبو زيد وأبو عبيدة: فتنّته وأفتنّته، قال أبو زيد: لغة بني تميم أفتنّته))^(١٠).

(١) انظر: الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس ٢٣، والمزهر للسيوطي ١٣٣.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٤٢١/٣-٤٢٢.

(٣) اللسان (عدا).

(٤) المزهر ٣١٠/١، وانظر فيما عدّه الأصمعي من المولّد وأنكره: الإبدال لأبي الطيب اللغوي، ٣٤٣/٢، والمزهر ٣٠٦/١.

(٥) تهذيب اللغة ٢١/٥.

(٦) انظر على الترتيب: جمهرة اللغة ١٨٦/٢ و ١١٦/١، ٢٤/٢، وتهذيب اللغة ٩٩/٣.

(٧) انظر: جمهرة اللغة ٢٤٩/٢، ١٥٠/٢، ٢٤٩/٢، ٢٢/٣.

(٨) انظر لغة تميم: د. ضاحي عبد الباقي ٣٦١.

(٩) اللسان (حزن).

(١٠) إعراب القرآن للنحاس ٥١/٥.

ومع إحاطة الأصمعي بالفصح من اللغات إلا أنه قد ينكر صيغة لغوية ثم يعود ليجيزها إذا وقع لديه دليل واضح فصيح على وزن (أفعل) كان الأصمعي قد ردّها ثم تبين له من أمثلة اللغة أو وقع له شاهد سمعه من الأعراب بطلان ما ذهب إليه، فيعود ثانية ليجيزها، ومن ذلك ما ذكره ابن دريد في قوله:

((قال أبو حاتم: كان الأصمعي يدفع "أوفى" ثم أجازه بعد ذلك وعرفه^(١)). وقال: ((وأجاز أبو زيد "رث" و"أرث"، وأبي الأصمعي "أرث". قال أبو حاتم: ثم رجع الأصمعي فأجاز "رث" و"أرث"^(٢))).

ومما تقدّم من أمثلة عمّا أخذ به الأصمعي وما أنكره يمكننا أن نجمل منهج الأصمعي العام في اعتماده الفصح في النقاط التالية:

١. إن الأصمعي يتشدّد في الحرص على الفصح، ولا يأخذ إلاّ بأفصح اللغات، وقد أدرك أهل اللغة منهجه اللغوي فلم يطعن أحدٌ منهم في مقاييسه.

٢. لا يأخذ اللغة إلاّ عن الشعراء الفصحاء، ويحكم عليهم بمعايره العالية ويفاضل بين الروايات ولا يعرّج على الشاذّ منها.

٣. لغة القرآن هي المثال الأعلى للفصاحة لذلك يتحرّج في الخوض في أحكامها، ولا يفسّر شيئاً منها.

٤. يأخذ عن الأعراب الخُلص الذين يثق بلغتهم دون التمحيص في جنسيتهم وعمرهم وقبيلتهم التي ينتسبون إليها.

٥. يقسم القبائل من حيث الفصاحة فيضع قريشاً في المقدمة، ولكنه لا ينفي الفصاحة عن القبائل الأخرى.

٦. يرد اللغات الضعيفة والشاذّة والمولّدة وكلام العوام.

٧. الأصمعي رجل علم موضوعي يقرّ صيغة لغوية وينكر أخرى فإن عرض له عارض ووقع على دليل على صحة المنكر عاد وأثبتته.

نلاحظ أن كثيراً ممّا أنكره الأصمعي وأجازه غيره من علماء اللغة يعود إلى حرص الأصمعي الشديد على أفصح اللغات ومذهبه في الفصح القائم على التشدد وعدم الاتساع في الرواية واقتصاره على المثل الأعلى في الفصاحة والمأخوذ القرآن الكريم ومن ثمّ من أفواه الأعراب الذين التقاهم وسمع منهم.

خاتمة:

إن استعراض الفصح عند علمين من أعلام أهل البصرة في اللغة والنحو يفضي إلى نتائج عامّة يمكن تلخيصها فيما يلي:

(١) جمهرة اللغة ١٦٢/٣.

(٢) المصدر السابق ٤٥/١.

١. إنَّ "مصطلح" الفصيح عند أئمة اللغة يعني الوضوح وخلوص الكلام من التنافر والتدابير وأصالة عروبه وانطلاق اللسان فيه على البديهة، وهذا ما بدا واضحاً في الأمثلة المعروضة عند أبي زيد والأصمعي.
 ٢. اتصف أبو زيد الأنصاري والأصمعي بسعة العلم وغزارة المعرفة وجمع اللغة، وعاش هذان العالمان في زمن الفصاحة، فالتقوا الأعراب الفصحاء، سمعوا منهم وأخذوا عنهم.
 ٣. تفرّد كلٌّ من أبي زيد والأصمعي بمنهج مستقلّ نوعاً ما فيما يتعلّق بالفصيح، فقد توسّع أبو زيد فيما يرويه فأجرى أحياناً الضعيف مجرى القوي وكانت غايته جمع أكبر قدر من مفردات اللغة، ولذلك كان يجيب في ثلثي اللغة، أمّا الأصمعي فقد كان مذهبه في الفصيح يقوم على التمهيد والتشدد في رواية اللغة وهذا ما جعله ينكر كثيراً من الصيغ والألفاظ التي أجازها أهل اللغة، وقد تفرّد بمذهب خاص في الفصيح حافظ فيه على أصول ثابتة في الفصيح.
 ٤. إنَّ الأصول التي اعتمد عليها أبو زيد والأصمعي في تحديد مقاييس الفصيح تعتمد القرآن الكريم في المقام الأول ومن ثمَّ أشعار الجاهليين وأقوالهم ومن يحتج بشعرهم ومن ثمَّ ما سمعوه مشافهة من الأعراب الفصحاء الذين التقوا بهم.
 ٥. إنَّ معيار فصاحة اللفظة أو الصيغة يعود إلى كثرة استعمال العرب لها، وهذا ما أثبتته الأمثلة الواردة عند أبي زيد الأنصاري والأصمعي.
 ٦. لم يكن الخلاف جوهرياً بين علمين من أعلام المدرسة البصرية، فما أنكره الأصمعي على أبي زيد من بعض الصيغ أو المفردات أجازها فيما بعد كثير من علماء اللغة ووجدوا له أمثلة تدعمه وتقويه.
- إنَّ البحث في أصول الفصيح عند هذين العلمين مازال يحتاج دراسة أكثر تعمقاً وسعة، وقد حاولت في هذا البحث تقديم صورة عن مقاييس الفصاحة عندهما، فهما يمثلان المرحلة الأولى لجمع اللغة الأصيل القائم على السماع والمشافهة من المنابع الأصيلية التي أخذت اللغة منها.
- أرجو أن أكون قد وفّقت في عرضي هذا والله وليّ التوفيق.

المصادر والمرجع:

١. الإبدال لأبي الطيب اللغوي "ت ٣٥١هـ" تحقيق: عز الدين التنوخي، دمشق ١٩٦٠-١٩٦١.
٢. أخبار النحويين البصريين: لأبي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي "ت ٣٦٨هـ"، تحقيق: طه محمد الزيني وعبد المنعم خفاجي - القاهرة ١٩٥٥م.
٣. أدب الكاتب لأبي محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري "ت ٢٧٦هـ"، تحقيق: د. محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٩٩٦م.

د. إيمان بنت محمد مدني: مستويات الفصاحة عند أبي زيد الأنصاري "ت ٢١٥هـ" والأصمعي "ت ٢١٦هـ"

٤. أساس البلاغة: للزمخشري محمود بن عمر، "ت ٥٣٨هـ" تحقيق: عبد الرحيم محمود، بيروت، ١٩٨٢م.
٥. إصلاح المنطق: لابن السكيت د.ت "ت ٢٤هـ"، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، ط ٣.
٦. إعراب القرآن: أبو جعفر النحاس "ت ٣٣٨هـ"، تحقيق: د. زهير زاهد، عالم الكتب، بيروت ١٩٨٨م.
٧. الألفاظ الكتابية: عبد الرحمن عيسى الهمذاني "ت ٣٢٠هـ" بيروت، ١٨٨٥م.
٨. الأمالي: لأبي علي القالي البغدادي "ت ٣٥٦هـ"، القاهرة ١٩٢٦م، طبعة دون رقم أو تحقيق.
٩. الأمالي: للمرتضى علي بن الحسين الموسوي "ت ٤٣٦هـ"، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ط ١، ١٩٥٥م.
١٠. الإيضاح في علوم البلاغة: للخطيب القزويني "ت ٧٣٩هـ" تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، بيروت ١٩٨٥م.
١١. البرهان في وجوه البيان لابن وهب إسحاق بن إسماعيل، تحقيق: د. أحمد مطلوب ود. خديجة الحديثي، بغداد، ١٩٦٧م.
١٢. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة لجلال الدين السيوطي "ت ٩١١هـ"، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٦٥م.
١٣. البلاغة والإيجاز: عمر بن بحر الجاحظ "ت ٢٥٥هـ"، تحقيق حاتم الضامن بعنوان "رسالة جاحظية" مجلة البلاغ، العدد التاسع ١٩٧٨م، بغداد.
١٤. تاج العروس من جواهر القاموس: للمرتضى الزبيدي "ت ١٢٠٥هـ" وتحقيق: عبد الستار أحمد فراج وآخرين، الكويت، ١٩٦٥م.
١٥. التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، لأبي هلال العسكري "ت ٣٩٥هـ"، تحقيق: د. عزة حسن، دمشق ١٩٦٩م.
١٦. تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري "ت ٣٧٠هـ"، تحقيق: محمد علي النجار وآخرين، القاهرة ١٩٦٤م، ١٩٦٧م.
١٧. جمهرة اللغة محمد بن الحسن بن دريد "ت ٣٢١هـ"، بغداد، دون تاريخ.
١٨. الخصائص لعثمان بن جني "ت ٣٩٥هـ"، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، ط ١، ١٩٥٢م.

١٩. ديوان ذي الرمة، شرح أحمد بن حاتم الباهلي، تحقيق د. عبد القدوس أبو صالح، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٧٢.
٢٠. سر صناعة الإعراب: لأبي الفتح عثمان بن جني "٣٩٥هـ"، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، القاهرة ١٩٥٤م.
٢١. سير أعلام النبلاء: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي "٧٤٨هـ"، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٩٨٠.
٢٢. شرح أبيات المغني: لعبد القادر البغدادي "١٠٣٠هـ"، تحقيق: عبد العزيز رباح وأحمد يوسف دقاق، دمشق ١٩٧٣م.
٢٣. شعر عبدة بن الطبيب، جمع د. يحيى الجبوري، دار التربية، ط ١، ١٩٧١م.
٢٤. الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، لأبي الحسين أحمد بن فارس "٣٩٥هـ"، تحقيق: مصطفى الشويحي، بيروت ١٩٦٤م.
٢٥. الصحاح - تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري "٣٩٣هـ"، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، ١٩٧٩م.
٢٦. طبقات النحويين اللغويين لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي "٣٧٩هـ"، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٥٤م.
٢٧. علم الفصاحة العربية: د. محمد علي رزق الخفاجي، القاهرة، ١٩٨٢م، ط ١.
٢٨. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لابن رشيق القيرواني "٤٥٦هـ"، تحقيق محي الدين عبد الحميد، بيروت، ١٩٧٢م.
٢٩. العين للخليل بن أحمد الفراهيدي "١٧٥هـ" تحقيق د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، إيران ١٤٠٥.
٣٠. الفاضل في اللغة والأدب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: عبد العزيز الميمني، القاهرة ١٩٥٠م.
٣١. فحولة الشعراء للأصمعي عبد الملك بن قريب "٢٠٦هـ"، تحقيق المستشرق ش. توري بيروت ١٩٨٠م.
٣٢. لسان العرب لابن منظور محمد بن مكرم "٧١١هـ"، بيروت، دون تاريخ.
٣٣. لغة تميم: دراسة تاريخية وصفية، د. ضاحي عبد الباقي بالقاهرة، ١٩٨٥م.
٣٤. المخصص لابن سيده الأندلسي أبو الحسن علي بن إسماعيل "٤٥٨هـ"، بيروت، دون تاريخ.

د. إيمان بنت محمد مدني: مستويات الفصاحة عند أبي زيد الأنصاري "ت ٢١٥هـ" والأصمعي "ت ٢١٦هـ"

٣٥. مراتب النحويين، لأبي الطيب اللغوي "ت ٣٥١هـ"، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٥٥م.

٣٦. المزهر في علوم اللغة وأنواعها: جلال الدين السيوطي "ت ٩١١هـ"، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى وآخرين، القاهرة، دون تاريخ.

٣٧. المسائل العسكرية: لأبي علي الفارسي الحسن بن أحمد "ت ٣٧٧هـ"، تحقيق: محمد الشاطر أحمد محمد أحمد، القاهرة، ١٩٨٢م.

٣٨. معجم الأدباء: ياقوت الحموي "٦٢٦هـ"، نشره د. أحمد فريد رفاعي، القاهرة، ١٩٣٦م.

٣٩. مفتاح العلوم: للسكاكي "ت ٦٢٦هـ"، تحقيق: د. عبد الحميد هندأوي، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٩٨٣.

٤٠. مفردات ألفاظ القرآن: للراغب الأصفهاني "ت ٥٠٢هـ"، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ط ٢، ٢٠٠٢م.

٤١. مقاييس اللغة: لأبي الحسين أحمد بن فارس "٣٩٥هـ"، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة ١٣٦٦هـ.

٤٢. النشر في القراءات العشر: الإمام الحافظ ابن الجزري الشافعي "ت ٨٣٣هـ"، تحقيق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية.



p-ISSN: 1652 - 7189

e-ISSN: 1658 - 7472

Issue No.: 18 ... Rajab 1440 H – APR 2019 G

Albaha University Journal of Human Sciences

Periodical - Academic - Refereed

Published by Albaha University

دار المنار للطباعة 017 7223212

Email: buj@bu.edu.sa

<https://portal.bu.edu.sa/ar/web/bujhs>